# مَاهِيَّةُ العِبَادَةِ

تأليف
فضيلة الشيخ
محمد محمد بدير زينه

دار ابن حزم
القاهرة

# ماهيـــة العبـــادة

تأليف

فضيلة الشيخ/ محمد محمد بدير زينة

الناشر

دار ابن حزم

بالقاهرة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الناشر

دار ابن حزم

للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

جمهورية مصر العربية

٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

تليفون : ٠٠٢٠٢٥١٤٣١٤١

تليفاكس : ٠٠٢٠٢٥١١١٧٥٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

## المقــدمـــة

إن الحمد للَّه تعالى نحمده ، ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في اللَّه تعالى حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فصلوات اللَّه تعالى وسلامه عليه وعلى آله ومن اتبع هداه إلى يوم الدين .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾

[آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾

[النساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾

أما بعدُ :

فإن أهم ما يلزم المؤمن في هذه الحياة الدنيا هو أن يؤدي المهمة التي خلقه اللَّه تعالى من أجلها ، وأن يحصر جهده فيما كلف به حتى يؤدي مهمته وتبرأ ذمته . وكل جهد أو عمل يبذله فيما لم يؤمر ولم يكلف به فهو جهد ضائع وعمل حابط لأنه عبد مأمور بعمل محدود لا يؤذن له بغيره ، ولا ينبغي أن يقصر فيه ؛ لأن ذلك مما يقتضي عقابه ، ويحط من قدره لعدم الامتثال على الوجه المأمور به . والمهمة التي خلق المكلف من أجلها قد أوضحها اللَّه تعالى أبلغ إيضاح بأوجز عبارة فقال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [ الذاريات : ٥٦] .



## ماهية العبادة وحقيقتها

وماهية هذه العبادة حددها أهل السنة والحق بأنها تقوم على ركنين لا تتحقق إلا بهما، ولا توجد إذا غاب أحدهما، وهذان الركنان هما: الإخلاص، والمتابعة.

والركن كما يعرفه الأصوليون: جزء الماهية. فالماهية لا توجد إلا باستيفاء أركانها كلها، وفَقْد ركن منها كفقد الكل، فغياب ركن من الماهية يعني عدمها. فمثلًا السجود ركن من أركان الركعة باتفاق أهل السنة. فترك السجود يعني عدم الركعة وبطلانها باتفاقهم. فكذلك العبادة لا توجد شرعًا إلا باستيفاء ركنيها وهما الإخلاص للَّه تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، وأيما عمل من أعمال العبادة فَقَدَ واحدًا من هذين الركنين بطل يقينًا.

وقد فارق أهل الأهواء والبدع أهل السنة في هذا المفترق بالنسبة لماهية العبادة، فأهل السنة هم الذين أجمعوا على أن المتابعة ركن من أركان العبادة؛ فلا تعتبر شرعًا إلا بالمتابعة للنبي ﷺ؛ ولذلك سموا «أهل السنة» لاقتدائهم بها في جميع أمورهم كما أمرهم اللَّه تبارك وتعالى بقوله: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ

قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] في آيات من هذا المعنى كثيرة معلومة.

وأما أهل البدع والأهواء فلم يتقيدوا بهذا الركن، وأدخلوا في الدين من أهوائهم ومحدثاتهم ما أدخلوا، ولم يقتصروا على ما شرع اللَّه تعالى، فمنهم من أوغل في الضلالة، ومنهم من تمادى حتى خرج من الدين واتبع الشيطان الرجيم.

ولا يعنيني في هذا المختصر بيان حالهم، إنما يهمني بيان منهج أهل الحق الذين هم أهل السنة نصحًا لنفسي وللمسلمين.

**فأقول وباللَّه تعالى التوفيق:**

كتبت هذه المذكرة في بيان « ماهية العبادة » لمَّا رأيت خللًا واضحًا بيِّنًا في مفهوم العبادة، ليس فقط بين العوام، ولكن أيضًا في بعض حَفَظَةِ القرآن الكريم الذين يَؤُمُّون المسلمين في المساجد، وبعضهم من طلبة العلم، وقد انتشر هذا الخلل في عدد ليس بالقليل، والمحور الأساسي الذي أركز فيه نصيحتي هو هذه القضية بعينها وخصوصها وهي: هل حقيقة العبادة شيء مشروع موصوف محدد على العبد أن يمتثله؟ أم أن المقصود منها هو تعظيم الرب تبارك وتعالى كيفما اتفق، وبما يرى العبد من الأعمال التي تعبر عن هذا المعنى وهو مفوض في اختيار الأعمال التي يعظم بها ربه؟

وبمعنى آخر:

هل العبادة من شرع اللَّه تعالى الذي لا يرضى غيره؟ أم هي من ابتكار العبد وصُنْعِه؟ فإذا كان الحق هو المعنى الأول، فهل يتصور أن توجد صورة

للعبادة أكمل مما شرع اللَّه تعالى ؟ بحيث يمكن أن يؤدي العبد ما هو أكمل مما ثبت عن النبي ﷺ ؟ أم أن تصور هذا النوع من الضلال ، والعمل به نوع من الشرك العملي ؟

وبصورة موجزة جدًّا : هل مدار العبادة على أمر اللَّه تعالى ؟ أم على تفويض العبد في اختيار ما يراه عبادة ؟ وهذه المذكرة في بيان حقيقة العبادة إجمالًا من حيث الأساس والأركان شرعًا ولغة ، ونقل بعض أقوال السلف والخلف فيها باختصار في هذه الماهية الإجمالية بدون الدخول في تفاصيل العبادة وصورها من دعاء واستعانة واستغاثة ونذر وتوكل وصلاة وزكاة وصوم وحب وولاء وغيره ، لأن القصد هو بيان الأصل الإجمالي العام لجميع الصور هل هي مشروعة بأمر المعبود أم محدثة من وضع العبيد ؟

وكتبت هذه المذكرة كتعليق على عبارة نقلها صاحب كتاب « الروضة الندية » الشيخ صديق حسن خان القنوجي عن شيخه الشوكاني ، ولما رأيت حاجة العامة وكثير من الخاصة إلى هذه المعاني رأيت أن أجعلها تذكرة مستقلة لخدمة هذه القضية بخصوصها .

وهذه الرسالة في الأصل واحدة من مسائل تبلغ المائة مسألة - أو تزيد قليلًا - كلها تعليق على قضايا أثارها مؤلف كتاب « الروضة الندية » رحمه اللَّه تعالى ، وجدت من حق اللَّه تعالى عليَّ أن أبينها للمسلمين في بحث أعددته ثم أفردت منه هذه المسألة لما رأيت الحاجة إليها عندما خالطت الناس ، ورأيت منهم ما رأيت .

أسأل اللَّه تعالى بوجهه الكريم أن يتقبل عملي هذا ، وأن يجعله عونًا للمسلمين ورحمة لا منة فيه ولا إساءة ، فالفضل كله من اللَّه تعالى وهو العزيز الوهاب الفعال لما يشاء .

۞ ۞ ۞

## أهمية الاستدلال في قضايا العبادة

نقل مؤلف «الروضة الندية» عن الشوكاني قوله: «وليس من أثبت الأحكام المنسوبة إلى الشرع بدون دليل بأقل إثمًا ممن أبطل ما قد ثبت دليله من الأحكام، فالكل إما من التقول على الله تعالى بما لم يقل، أو إبطال ما قد شرعه لعباده بلا حجة»[1] . اهـ .

هذه خلاصة حق، وزبدة هدى، وعليها يقوم تحقيق العبودية والألوهية معًا، فتحقيق العبودية مداره على امتثال أوامر المعبود، والانقطاع إليه، ورفض ما سواه حتى لا يكون مع الله تعالى آمر ولا ناهٍ ولا مشرع ولا حاكم، بل ذلك كله لله تعالى وحده وتجريد الهمة لامتثال أمر المعبود وشرعه وحكمه مع رفض كل ما سواه هو تحقيق العبودية الخالصة، وتجريد الأمر والحكم والشرع لله وحده مع رفض أن يكون لأحد سوى الله تعالى شيء من ذلك هو تحقيق الألوهية، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(1) الروضة الندية (١٧/١)، ط. الندوة الجديدة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية.

وقوله تعالى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف : ٤٠] ، والآيات في هذا المعنى غيرها في القرآن المجيد .

ومن السنة قوله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »(١) ، والخلاصة أن أي عبادة لم يشرعها اللَّه تعالى فهي باطلة مردودة ؛ لأن اللَّه تعالى لا يقبل من العباد إلا العمل بما شرع لهم ، وكل عمل لم يشرعه فهو مردود ؛ لأن اللَّه تعالى لم يأذن لأحد أن يشرع للناس دينًا بل أنكر ذلك على كل أحد سواه فقال تبارك وتعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى : ٢١] بين تبارك وتعالى أن من شرع شريعة من قبل نفسه ليعمل بها الناس إما أن يكون حاصلًا على إذن من اللَّه تعالى له بذلك ، أو يكون مفتريًا على اللَّه الكذب لأن التشريع من خصائص الإله المعبود سبحانه وتعالى ، ولا حق لمخلوق فيه قط فقال تبارك وتعالى : ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس : ٥٩] .

قال ابن عطية في تفسيرها : « ثم أمر اللَّه نبيه بتوقيفهم على أحد القسمين ، وهم لا يمكنهم ادعاء إذن اللَّه في ذلك ، فلم يبق إلا أنهم افتروه . وهذه الآية نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف : ٣٢] ،

(١) متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة في اللؤلؤ برقم (١١٢٠) .

قال : ذكر ذلك الطبري عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما[١] . اهـ .

أقول :

من أهم المهم هنا بيان أن الأحكام التكليفية تقوم على أساس أصول الاعتقاد ، فمن حقق الإيمان وسلمت له أصول العقيدة ، استقام له دينه ، وحقق اتباع النبي المصطفى ﷺ فيما كلفه اللَّه تعالى أن يبلغه من الدين ، ومن اختل إيمانه ، وتذبذبت عقيدته ظهر ذلك في عمله وعبادته ضرورة ، مهما حاول إخفاءه لا يختفي ، وسوف تغلبه الحقيقة ، وتفلت منه مهما حاول كتمانها أو ادعاء غيرها .

ولبيان هذا المضمون لابد من شرح كلمة التوحيد ومقتضى الإيمان حتى نفهم هذه الحقيقة ، وسوف أتناول بيان شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه باعتبارها أساس عقد الإيمان ودخول الإسلام . وكذلك شرح معنى الرضا باللَّه تعالى ربًا ، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا ، لأن من حصل له ذلك فقد حقق الإيمان الكامل ، وذاق طعمه .

❁ ❁ ❁

وإليك موجز معاني هذه المصطلحات :

## ١- معنى لا إله إلا الله

الإله معناه المعبود مطلقًا سواء بحق ، وهو الله وحده ، أو بباطل ، وهو كل ما عبد سوى الله تعالى .

أما دليل الأول فقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد : ١٩] .

والآيات في هذا كثيرة جدًّا أكتفي بهذا لبيان الحجة .

وأما دليل كون المعبود الباطل يسمى إلهًا لكونه معبودًا ولو بالباطل فقول الله تبارك وتعالى : ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان : ٣] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف : ٢٨] .

والآيات في ذلك كثيرة ، وأكتفي بهذا لإقامة الحجة .

وقبل ترك المقام أقرر ما هو معلوم لدي كل مسلم وعاقل أن تسمية ما سوى الله تعالى من المعبودات الباطلة آلهة هو من أجل أنها تعبد ، وإن كانت عبادتها كفرًا وباطلًا . ولا يستحق مخلوق أن يكون إلهًا بحال بل يستحيل أن

يوجد إله غير اللَّه تعالى يستحق العبادة قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، وأيضًا في هذا آيات أكتفي منها بما ذكرت .

أقول :

فبهذا دلت النصوص القطعية على أن الإله هو المعبود بحق أو بباطل ، كما دلت النصوص القطعية على أن كل إله عبد غير اللَّه تعالى فهو باطل ، وليس يوجد معبود بحق إلا اللَّه تعالى ، وهذا هو معنى كلمة التوحيد : لا إله - يعني لا يعبد بحق ولا يستحق العبادة - إلا اللَّه تعالى .

أقول :

وقيد الاستحقاق في العبارة ضروري قطعًا ، لأن العبادة حاصلة بالفعل لما لا يحصى من الآلهة ، فنفيها مناقض للواقع والقرآن المجيد مقرر لتلك العبادات ومعبوداتها الباطلة أنها كائنة بغير حق وهي كفر ، فالمنفي ليس مطلق الآلهة ، ولكن المنفي هو وجود إله بحق غير اللَّه تعالى . أما آلهة الباطل والكفر فهي موجودة لا يخلو منها زمان ، ولها صور لا تعنينا الآن . ومقتضى ذلك نفي وجود أي عبادة صحيحة إلا عبادة اللَّه تعالى وحده ، وكل العبادات لما سواه فباطلة وكفر قطعًا .

إذا تبين هذا ، فإن العبادة الحقة التي هي حق الإله المعبود بحق وهو اللَّه تعالى هي امتثال أوامر المعبود سبحانه على النحو الذي أراده من الكيف والكم والتوقيت ، فلو تعدَّى العبد فأدى التكليف بغير الكيفية المقصودة للرب تبارك

وتعالى كان عمله لغوًا وباطلًا ، ولم يكن عابدًا للَّه تعالى مهما استكثر من ذلك ، وعنَّى نفسه وأتعبها لأنه غير ممتثل ، ومثاله لو صلى بغير الكيفية المشروعة كأن يترك شرطًا أو ركنًا أو أكثر عمدًا بأن يصلي بغير طهارة ، أو لغير القبلة بلا ضرورة أو بدون ركوع أو سجود أو بركوعين في الركعة وسجود واحد ، أو سجد في كل ركعة أكثر من سجودين عمدًا ، أو جعل مكان الفاتحة شيئًا غير القرآن أو قرأها في سجوده مثلًا ، فكل ذلك باطل لو فعله آلاف المرات ، ولزمه من شبابه إلى هرمه لا وزن له ، ولم يكن للَّه تعالى عابدًا بحال ، بل هو عابدٌ لمن شرع له ما صنع سواء كان هواه أو هوى غيره من المخلوقات التي عبادتها كفر .

فالعبادة مدارها على التوقيف لا التخمين ولا الهوى .

أقول :

وما بينته في حكم الكيفية ينطبق تمامًا على الكم والتوقيت ، مثل ما لو صلى الصبح ثلاثًا أو أربعًا أو أكثر أو ركعة واحدة ، أو صلى الظهر بعدد ركعات غير الأربع زيادة أو نقصًا ، أو العصر أو العشاء كذلك ، أو صلى المغرب بغير الثلاث - زيادة أو نقصًا - كل ذلك خارج عن دين الإسلام وتعمده كفر ؛ لأنه عبادة إله آخر .

وكذلك لو وقَّت أوقاتًا للعبادات غير التي شرع اللَّه تعالى وحدد ، فكل ذلك باطل وتعمده بعد بلوغ الحجة كفر لا يختلف عليه ، لأنه عبادة لمن شرع ذلك الدين .

أقول :

أوجز تعبير وأصحه : أن العبادة امتثال أوامر المعبود تبارك وتعالى ، ولذا وردت قواطع الأدلة أن العبادة تقوم على ركنين وهما الإخلاص والمتابعة ، والمقصود بالإخلاص أن يراد بكل عبادة وجه اللَّه تعالى ورجاء مرضاته ، فلو قصد غير ذلك بطلت العبادة ، ولو استوفى جميع ضوابطها الظاهرة ، وذلك أن اللَّه تعالى يقول : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة : ٥] .

وقال سبحانه : ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف : ١١٠] .

وكذلك لو ترك المتابعة وادعى الإخلاص لم ينفعه عمل حتى يكون مشروعًا ؛ لأن اللَّه تعالى لا يقبل أن يعبد إلا بما شرع وحكم وأمر لأنه لا مشرع بحق غيره ، ولا حاكم غيره ، ولا آمر غيره ، ومن فعل شيئًا من ذلك فهو مبطل معتد على حق الإله المعبود بحق تبارك وتعالى الذي شرع الدين ولم يأذن لأحد سواه أن يشرع شيئًا منه ، بل أخبر أن التشريع من خصائص الإله المعبود ، ولا معبود بحق سواه تبارك وتعالى .

أما كونه الذي شرع الدين فلقوله سبحانه : ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية : ١٨] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ

مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأما كونه تعالى لم يأذن لأحد غيره أن يشرع شيئًا من الدين فإن التشريع حقه وأمره، ولا يقبل من أحد تشريعًا إلا أن يكون مبلغًا لأمره سبحانه، أو حاصلًا على إذن منه بأن يُشرِّع، وإلا كان كاذبًا مفتريًا معتديًا، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

والمعنى أنكم بين أمرين: إما أن تثبتوا أن اللَّه تعالى أذن لكم أن تُشرِّعوا وهذا محال، وإلا فأنتم كذابون مفترون. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، وأدلة ذلك كثيرة.

وأما كون التشريع حق الإله المعبود، ولا يدعي هذا الحق إلا من ادعى الشركة مع اللَّه تعالى، وهو أبطل الباطل؛ فقد قال عز وجل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

ولذلك فكل من خضع لتشريع غير اللَّه تبارك وتعالى كان عابدًا لذلك المشرع، ومتخذًا له ربًّا من دون اللَّه تعالى كما قال ربنا سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، ومعلوم أنهم أحلوا لهم محارم اللَّه

تعالى وحرموا حلاله فأطاعوهم فكانت تلك عبادتهم .

وأما كونه تبارك وتعالى صاحب الحكم لا حاكم غيره فقد قال عز وجل : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [ يوسف : ٤٠] .

وقال : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [ القصص : ٨٨] .

ولذلك كان قضاؤه تبارك وتعالى هو الحق ، وكل قضاء لما سواه باطل ، قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [ القصص : ٨٨] .

أقول :

مردّ التشريع والحكم والقضاء إلى صاحب الأمر ، والأمر للَّه تعالى وحده لا أمر لأحد سواه ، لأن الأمر حق لمن خلق فيما خلق ، أما أن يأمر أحد في خلق غيره فهو غاية الجور والظلم والفساد ، لا يأمر الخلق إلا الخالق ؛ ولذلك كان الخلق من أهم مؤهلات الآمر ، فمؤهلات الآمر هي الخلق والملك الأصلي الذي لا يزول أبدًا ، والمبني على الخلق والإيجاد ، أما ملك الاستخلاف فهو ملك مجازي لا حقيقي ومؤقت لا يدوم ، وعن كون الملك والخلق من مؤهلات الآمر قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ولذلك كان أمره تعالى مبطلًا لأمر كل ما سواه، ناسخًا لكل آمر وما أمر، لا يرده شيء ولا تبديل ولا تأخير فيه، قال تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وليس لأحد في الملكوت أمر بحق بل الأمر الحق كله للَّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وأخبرنا تبارك وتعالى أن أحب بَشَرٍ إليه وأعظمهم منزلة عنده ليس له أيّ نصيب من الأمر مهما قل، وهذا من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى المسمى بمفهوم الأَوْلَى أو القياس الجلي عند الشافعي، فقال تبارك وتعالى لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، الحبيب إليه، صاحب المقام المحمود، إمام الرسل وخطيبهم وأعظمهم قدرًا: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ومهما كان سبب نزول الآية فإن لفظها عام، وهي تدل على أن أي مخلوق مهما كان كريمًا لا نصيب له من الأمر لأن الأمر هو حق الإله المعبود، لا يستحقه أحد من العبيد مهما كان قدره.

إذا تبين هذا فيجب أن نعرف ونعتقد أن الرسل مبلِّغون عن اللَّه تعالى لا مشرعون قال اللَّه تعالى : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة : ٩٩] ، فإذا قيل : إن العلماء يذكرون أن النبي ﷺ مشرِّع فكيف يستقيم هذا مع ما تقول ؟

أقول :

صدق علماؤنا ، وإنما أسندوا التشريع إليه ﷺ على سبيل المجاز ، والعلاقة أنه المبلغ لما شَرَع اللَّه تعالى لأمته ، فإسناد التشريع له ﷺ إسناد تبليغ لا إنشاء ، وهذا أسلوب عربي رصين استعمله القرآن الكريم ، قال اللَّه تعالى بعد أقسام عدة بالنجوم والليل والصبح ، وكان المقسوم عليه قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير : ١٩] .

والقرآن كلام اللَّه تعالى وإسناده إلى جبريل عليه السلام إسناد بلاغ ووحي لا إنشاء ، كما تقول توراة موسى وإنجيل عيسى ، يعني الذي أنزل عليه لا أنه ألَّفه أو يقدر على ذلك .

فكذلك إذا قال الفقهاء : قال الشارع ﷺ كذا وكذا يعنون المبلِّغ ما شرع اللَّه تعالى له ولأمته كقوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى : ١٣] .

ولا شك أن بلاغ الرسول ﷺ وبيانه وحي من اللَّه تعالى لا إنشاء له فيه ،

بل هو وحي من اللّه كما قال تعالى : ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ١ – ٤] .

إذا انتهينا إلى هذا من معرفة الإله الحق أنه المستحق وحده للعبادة بما شرع لا يقبل غير ذلك ، ولا يأذن لغيره أن يشرع شيئًا والرسل مبلغون شرعه ، والعبادة هي امتثال أمره وحده وتجريده عما سواه ، ورفض كل ما عداه حتى لا يقع الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ٣] .

فبنفس القوة التي نقبل بها شرع اللّه تعالى ونطيعه يجب أن نرفض ما عداه ونتبرأ منه حتى نسلم من الشرك ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

إذا عرفنا هذا فالمحقق للتوحيد هو الذي جعل كل عبادته وعمله محصورًا فيما جاء به الوحي من كتاب وسنة ، ورفض ما عدا ذلك رفض المؤمن للكفر ، فمن أنشأ شرعًا أو قبل ما أنشأ غيره من الخلق فقد نقض التوحيد ، ونقض الشق الآخر من الشهادة الذي هو :

## ٢- معنى محمد رسول اللَّه ﷺ

معنى هذا الشطر من الشهادة هو الإقرار بأن اللَّه تعالى اختار محمدًا ﷺ ليكون أمينه على دينه، ورسوله إلى خلقه بما شرع لهم، ولا يحقق هذا إلا من أيقن أن دين اللَّه تعالى الخالص هو الذي بلَّغه رسوله ﷺ بالأدلة الصحيحة وأنه أتم مهمة البلاغ والبيان، وشهد اللَّه له بذلك فقال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

فيجب الإيمان الجازم أن دين اللَّه تعالى الذي هو الإسلام قد أداه النبي ﷺ كاملًا غير منقوص، ويجب اعتقاد أن أعلى مراتب الإحسان هي الاقتداء بالنبي ﷺ فهو قدوة المتقين المفلحين، وهو الاتباع الموصِّل إلى أشرف المنازل وهي محبة اللَّه تعالى وولايته قال اللَّه تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن آمن باللَّه تعالى، وصدق بالقرآن المجيد علم أن أكمل الدين هو ما جاء به الرسول ﷺ، وأن من نقص منه شيئًا نقص من دينه بقدره، وأن من زاد عليه شيئًا وقع في الشرك؛ لأنه لم يخلص دينه للَّه تعالى بسبب قبوله العمل بغير دينه، لأنه لم يقتصر على ما شرع اللَّه تعالى بل خلطه بشرع غيره، فصار مشركًا في الطاعة والعبادة والمنهج، وهو شرك عملي لا اعتقادي لا يخرج من الملة وهذا حال كل من عمل بالبدع.

فمن عمل بشريعة اللَّه تعالى وعجز عن شيء منها فهو مقصِّر بقدر ما ترك

منها ، ولكن من أضاف إليها ما ليس منها فقد أشرك في عبادة ربه وصار عابدًا لمن يعمل بشرعه وهو لم يقتصر على شريعة الإسلام بل أضاف معها غيرها من الأوراد والأعمال فصار مشركًا في العبادة ، فأبطل ما يعمله من الدين الصحيح بخلطه بالطاغوت ؛ لأن اللَّه تعالى لا يقبل الشرك ولا يقبل عملًا خالطه الشرك ، ولقد روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه »(١) .

فالنقص من الدين أهون من إضافة ما ليس منه فيه ؛ لأن النقص تقصير في الإسلام لا ينافي التوحيد ولكن إضافة شرع المخلوق إلى الدين دخول في الشرك وإحباط لكل العمل ، وهذا في الحكم النظري ولا يطبق على أحد إلا بعد البلاغ والبيان والإعذار من عَالِمٍ فقيه داعية متلطف .

أما أن يرى إنسان غيره يعمل البدع وما ليس من الدين فيحكم عليه بالشرك فلا يجوز ، فهناك فرق بين الحكم النظري وتوقيعه على محله الصحيح ، فلا يجوز التهور في ذلك ولا أن يحكم به غير عالم فقيه بعد التبين والنصح والإعذار وإقام الحجة ودفع الشبهة ، فمن أصر بعد ذلك حكم عليه أهل العلم بما يستحق .

ولا يجوز ولا يقبل قول غير العالم الداعية الورع .

والخلاصة : أن مهمة الرسول ﷺ البلاغ المبين ، والبلاغ هو تلاوة

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) .

القرآن ، والبيان هو توضيح مقصود الشارع الحكيم من الآيات المجملة مثل : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم : ٣٠] .

فالمقصود من الدين وإقام الوجه للدين أمر مجمل يحتاج إلى بيان ، وما لم يبينه الشارع كان مدعاة اختلافٍ وتَبايُنٍ . وكذلك بيان الأوامر المجملة مثل قوله تعالى : ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج : ٧٨] .

فإن لم يبين الرسول ﷺ المقصود من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقع الناس في حيرة واختلاف وتخبط .

فإذا عرفنا أن النبي ﷺ قد أتم البلاغ والبيان والتزكية وهي العمل بالتكاليف المقتضى لحصول الإيمان وطهارة النفس وإذهاب خبثها وآثار المعاصي بالعمل بالعبادات والطاعات المطهرة لها . كما قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة : ٢] .

فمن عدل عن بلاغه ﷺ أو بيانه إلى غيره فهو مبطل لشرط الشهادة ولم يحقق شهادة أن محمدًا رسول اللَّه ، ومهما قالها بلسانه فهو مكذب لها بفعله . كمن قال : لا إله إلا اللَّه . وهو يسجد لصنم أو يتحاكم إلى الطاغوت معتقدًا جوازه أو غير ذلك مما يتناقض مع لا إله إلا اللَّه .

والخلاصة من هذه الفقرة : أن تحقيق شهادة أن محمدًا رسول اللَّه ﷺ

إنما يكون باتباع هدي النبي ﷺ والاقتداء بسنته وتخليصها من أي شائبة غريبة عنها ، فلا يَقْبَلُ في أعماله من عبادات وسلوك وأذكار وخلافه إلا ما صح به الدليل عنه ﷺ ، ويحمي دينه من إدخال أي شيء لم يثبت عن النبي ﷺ فلا يبتدع شيئًا ولا يقبل شيئًا مما ابتدعه غيره ، فإن ابتدع شيئًا أو عمل بما ابتدع الناس مخالفًا لما جاء به النبي ﷺ لا يكون محققًا لشهادة أن محمدًا رسول اللَّه ﷺ كما يجب ، بل يكون مُخِلاًّ بها .

فمن قصَّر في شيء من هدي رسول اللَّه ﷺ فهو مقصِّر في دينه على قدر ذلك ، ولكن من أضاف شيئًا ليس مما جاء به النبي ﷺ وهو يعلم فعقيدته فاسدة وليس من الموحدين الصادقين ؛ لأن التوحيد هو توحيد المعبود المشرِّع صاحب الأمر وحده ، واتباع من عيَّنه للبلاغ والحذر من مخالفته ، فمن لم يفعل ذلك لم يحقق التوحيد ، فإضافة ما ليس من الدين فيه شرٌّ من التقصير في العمل ببعض الدين وشر منهما من عكف على البدع وجعلها دينه وبذل جهده وهمته فيها مستحبًّا لها ، فهو بهذا مناقض لحقيقة لا إله إلا اللَّه ، ولحقيقة محمد رسول اللَّه ، ولكمال الإسلام وكفايته ، ولا يكون محققًا للإسلام ولا للإيمان ؛ لأن الإسلام هو إسلام مقاده للَّه تعالى يأمره وينهاه ويكلفه بما شاء وهو مطيع مذعن خاضع راضٍ مغتبط يرى أن نعمة الإسلام عليه هي أعظم وأجل النعم مطلقًا ، وما لم يكن كذلك لا يكون محققًا للإسلام الصحيح الكامل .



## ٣- تحقيق الرضا باللَّه تعالى ربًّا

يتحقق الرضا باللَّه تعالى ربًّا باعتقاد أن جميع النِّعم والإحسان وكل خير حسِّيٍّ ومعنويٍّ إنما هو منه تبارك وتعالى وجميع الأسباب هي من خلقه تبارك وتعالى وتقديره وتدبيره ، فهو خالق الأسباب والمسببات جميعًا ، فمن رَحِمَتْه أمه وكفله أبوه وأسعدته زوجته وبرَّهُ ولدُه وأطاعه خادمهُ وأحسن إليه جارُه ونفعه ماله وغير ذلك من الأسباب ، فليعلم أن فاعل ذلك كله هو اللَّه تعالى وهو الذي سخر هذه الأسباب وغيرها إنعامًا منه وفضلًا ولو شاء ما كان من ذلك شيء قط ، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٢] .

وهو تبارك وتعالى وحده القادر على سلب ذلك كله وإبدال كل نعمة بنقمة وكل خير بشر ، فهو المستحق للحمد الدائم والثناء الكامل والعبادة الخالصة بما شرع من الدين الذي لا يُعْبَد إلا به ولا يقبل غيره ، فالرضا به ربًّا يقتضي لزومًا إفراده بالألوهية وتخصيصه بالعبادة وهي المهمة التي من أجلها خُلق الثقلان ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

كما يجب اعتقاد أن جميع البلايا والمصائب والشرور والمضار من خلق اللَّه تعالى وتقديره وحكمته ، وهو وحده القادر على أن يصيب بها من يشاء ويصرفها عمَّن يشاء ، فالنفع والضر جميعًا بيده وحده ، فإن أصاب العبد بالمكاره والمصائب فيجب أن يرضى ويصبر ، ولا يزحزحه عن محبة اللَّه

تعالى وإجلاله وتعظيمه شيء يسوقه من المضار والمكاره ، ويجب أن يكون دائمًا على أحسن ما يمكن من الظن باللَّه تعالى ، وأن يعتقد أن ما يقدره من المصائب إنما هي رحمة ورفعة إما أن يمحو بها الذنوب ويطهر النفوس ، أو يرفع بها الدرجات ويجزل بها الثواب ، فلو كان الطبيب الماهر الحاذق يبتر العضو الفاسد ليسلم سائر البدن من سراية الفساد ، وفي ذلك غاية المنفعة والوقاية من الضرر مع ألم البتر وتشويه البدن .

فلا يعجز المؤمن الصادق أن يكون ظنه بربه الكريم أعلى من هذا وأفضل ؛ لأن اللَّه تعالى بعباده رءوف رحيم ، ولو أصابهم بالمكاره فهو العليم بما يُصلحهم في حياتهم ومآلهم ، فلا يجوز للمؤمن أن يتحول ظنه عن محبة اللَّه تعالى وصدق ولايته والركون إليه وحده مهما تقلبت عليه الظروف والأحوال ، فهو راضٍ باللَّه تعالى يرى كل النعم عليه وعلى جميع الخلق منه تبارك وتعالى .

وكل بلاءٍ أو مكروهٍ إنما هو للمؤمن رحمة من تطهير وتكفير ورفعة ، فتقدير اللَّه تعالى له خير على كل حال ، وعليه شكره ودوام ذكره تبارك وتعالى على فضله ورحمته ، فهو يتوجه إليه وحده بالعبادة مخلصًا يريد مرضاته ولا يرجو غيره ، موقنًا إفلاس جميع الخلق وعجزهم أن يوصلوا إليه شيئًا ينفعه أو أن يمسُّوهُ بشيءٍ يضرُّه إلا بما شاء اللَّه تعالى وقدَّر . فهو المدبر لكل شيء ولا يكون إلا ما أراد من الخير والشر ، فلا يرجى غيره ولا يخاف سواه تبارك وتعالى .

ومنـه :

## ٤- تحقيق الرضا بمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا

إنما يكون ذلك بالاستغناء بدينه بلاغًا وبيانًا معتقدًا كماله ورفض ما سواه ، معتقدًا بطلانه ، ولا مجال للتردد ، فمن قبل غير ما بلغ ورضي غير ما بيَّن فهو برهان عدم رضاه بمحمد ﷺ رسولًا ومتبوعًا ، وهذا يقتضي عدم رضاه باللَّه تعالى ربًّا ؛ لأن اللَّه تعالى رضي محمدًا ﷺ رسولًا ، ورضي ما بلغه دينًا ، وهو لا يرضى سوى ذلك .

❁ ❁ ❁

ومنـه :

## ٥- تحقيق الرضا بالإسلام دينًا

يتحقق الرضا بالإسلام دينًا بالقبول التام والإذعان الكامل لكل ما فيه من التكاليف والأحكام ، مع أعظم الاغتباط وأشد السرور بمنة الإسلام ونعمة الهداية التي هي أجل النعم وأعظم المنن ، والتبري من كل شيء يخالف دين الإسلام ، والحذر من إدخال غيره فيه حذر المصلي من النجس ، لأن كل ما سوى الإسلام باطل ونجس وظلمات .

فأول دلائل الرضا بالإسلام : تعظيم أحكامه وشعائره ، ورفض وإبطال كل ما ليس منه وصيانته عن إدخال شيء ليس منه فيه ، وحراسته وحمايته من الظلمات والطاغوت ، والاعتقاد يقينًا أن جميع أهل الأرض من غير المسلمين كأنهم حشرات في ظلمات يسارعون فيما يشقيهم ويهرعون إلى ما يرديهم ،

هم أعداء أنفسهم في غفلة يعيشون وبأنفسهم يمكرون ، قنعوا بأحط الحظوظ وصُرِفوا عن أعظم كرامة ، كل ما عندهم وعند آبائهم إلى أول الدهر وعند أحفادهم إلى يوم القيامة من النعم لا يساوي غمسة أو صبغة في الجنة ، وكل ما في دنياهم من البلاء والبؤس والآلام حتى تقوم الساعة لا تساوي غمسة أو صبغة في النار ، فأي شيء فقدوا ؟ وفي أي خسارة وقعوا ؟ حين حُرموا من الإسلام الذي به تنال الجنة أعظم كرامة خلقها اللَّه تعالى ، وبه النجاة من النار أشد عذاب خلقه اللَّه تعالى ، وكم يجب على المسلمين من محبة هذا الدين ودوام الرضا به ؟

ومن دلائل الرضا بالإسلام بذل أقصى الجهد في ذكر اللَّه تعالى وشكره وحسن الثناء عليه بما أنعم علينا بهذه النعمة وخصنا بها من بين بني آدم ، وهي النعمة التي ليس مثلها نعمة ، وفقدها الخسارة التي لا يقوم لها عوض قط ، فالتوفيق للهدى محض فضل من اللَّه تعالى ؛ لأن الهدى لا يكون إلا بفضله تعالى . قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] .

ولذلك كان توفيقه تعالى لهم بالهداية أظهر نعمة قال اللَّه تعالى :

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة : ٧] .

فعلى المؤمن أن يكون رضاه بالإسلام وحرصه عليه ، واغتباطه به أشد ما يمكن لأنه النعمة الكبرى والكرامة العظمى التي بها النجاة والفلاح ولا نجاة إلا بها ولا فلاح بغيرها ولا تنال كرامة الجنة إلا بها وهي محض فضل من اللَّه الولي الحميد سبحانه وتعالى ، ولذلك قال تبارك وتعالى عن أهل الجنة : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

فعلى المسلم أن يكون شديد الحرص على دوام نعمة الإيمان بشكر اللَّه تعالى عليها دائمًا باعتبارها النعمة الكبرى حتى يديمها اللَّه تعالى عليه ويزيده منها قال اللَّه تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم : ٧] .

ومن مظاهر الرضا بالإسلام مع شدة الاغتباط ودوام الشكر :

أن يكون شديد الحرص على دينه ملازمًا لأعماله دائبًا فيه حَذِرًا من زواله أو التحول عنه أو الافتتان عنه ؛ لأنها أعظم عطية تدوم لمن عظمها وحرسها وسهر على شكرها ، وأما من غفل عن حقها فليس أهلًا لها ، بل هو جدير بفقدها ، وقد كان النبي ﷺ - وهو المعصوم من الفتن - يدعو اللَّه تعالى أن يحفظ دينه ويثبته عليه ، روى مسلم عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أنه سمع

رسول اللَّه ﷺ يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين أُصْبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء » .

ثم قال رسول اللَّه ﷺ : « اللهم مُصرِّف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك »(١) .

ولمسلم عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال : كان من دعاء رسول اللَّه ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك** »(٢) .

ولأننا في زمان فتن وأهواء قد يظن بعض من يقرأ هذه النصيحة أنها مجرد رأي لي كما قد يظنه من الشطط ولا يكتفي بما سقت من الأدلة القطعية ، ومن أجل ذلك سوف أسوق بعض النقول عن علماء المسلمين من القدامى والمحدثين لتقرير حقيقة أن العبادة مشروعة لا مجال فيها للابتداع ، وهذه النقول أمثلة فقط ولو أردتُ الاستقصاء لنقلت أضعاف حجم هذا البحث ولكن القصد إقامة الحجة باختصار .

ذكر بعض أقوال أهل العلم التي تشهد لما قلت :

١- قال ابن منظور :

والدين : الطاعة ، وقد دنته ودنت له ، أي أطعته ، وقال : (إياك نعبد) : أي نطيع الطاعة التي يخضع معها ، وقيل إياك نوحد ، وقال : ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٤) .

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٩) .

أقول :

إذا كان الدين في اللغة هو الطاعة ، والعبادة في اللغة هي الطاعة مع الخضوع ، فالطاعة : هي امتثال الأمر والانقياد للأمر ، والطاعة تقتضي وجود أمر حتى تصح الطاعة ، وبدون الأمر لا تكون طاعة ، وهذا مثل الجواب فإنه يقتضي سؤالًا ، ولا يصح كون الكلام جوابًا إلا إذا وجد سؤال ، وما لم يوجد سؤال فلا يصح أن يطلق على رده جوابًا وهذا من البداهة بمكان .

وعليه فإن المعنى اللغوي للدين والعبادة يقتضي كون الدين مشروعًا والعبادة مأمورًا بها مشروعة من اللَّه تعالى حتى يكون امتثالها طاعة ، وكل ما لم يشرعه اللَّه تعالى من الأوامر والنواهي والتكاليف لا يكون دينًا ولا عبادة ؛ لأن العمل به لا يكون طاعة ، إذ الطاعة لا تصح إلا عن أمر سابق تكون هي له كالجواب للسؤال ، وهذا هو معنى الطاعة في اللغة كما كان معنى الدين والعبادة في اللغة الطاعة لما تقدم من قول ابن منظور رحمه اللَّه تعالى .

وقال ابن منظور :

طاع له يطوع : إذا انقاد له ، فإذا مضى لأمره فقد أطاعه ، فإن وافقه فقد طاوعه ، وأنشد للأحوص قوله :

**وقد قادت فؤادي في هواها وطاع لها الفؤاد وما عصاها**

وقال : « وفرس طَوْعُ العنان سَلسُه ، وناقة طوعة القياد وطوع القياد ، وطيِّعة القياد : لينة لا تنازع قائدها » .

أقول :

المقصود أن الطاعة في اللغة هي امتثال الأمر والانقياد للآمر والإذعان لأمره ولا تسمى طاعة إلا بهذا المعنى ، وهذا مما يقتضي لغة كون الدين والعبادة شيئًا مشروعًا متوجهًا إلى العبد على سبيل الأمر اللازم من اللَّه تعالى حتى يكون امتثال العبد له طاعة ودينًا وعبادة ، ومهما عمل العبد بما لم يشرع اللَّه تعالى لا يكون له مطيعًا ولا عابدًا ولا ممتثلًا لدينه تعالى ، بل يكون جاهدًا في باطل طائعًا لمن أمره أو شرع له ما يعمل واللَّه تعالى بريء من عمله وشِرْكه .

٢- وقال أبو الفداء ابن كثير رحمه اللَّه تعالى في تفسير قوله تعالى : ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [ الكافرون : ٢ - ٤] :

قال رحمه اللَّه تعالى : « فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه ، فإن العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون اللَّه بما شرعه ؛ ولهذا كان معنى كلمة الإسلام : لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه . أي لا معبود إلا اللَّه ، ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير اللَّه عبادة لم يأذن بها اللَّه ؛ ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [ الكافرون : ٦] .

كما قال تعالى : ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [ يونس : ٤١] .

وقال : ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ [الشورى: ١٥] .

وقال البخاري : يقال « لكم دينكم » الكفر (ولي دين) الإسلام .

٣- وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤] قال : فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود ، وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ : أي ما يقول قولًا عن هوى وغرض ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾ أي إنما يقول ما أُمر به يبلغه إلى الناس كاملًا موفورًا من غير زيادة ولا نقصان »[1] انتهى .

٤- وقال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : « ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] ، وهو الذي يراد به وجه الله تعالى وحده ، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ »[2] انتهى .

٥- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب « العبودية في الإسلام » تفسير قوله تعالى : « ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] قال رحمه الله تعالى : والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤٨/٤ سورة النجم .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٦/٧.

ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان :

أحدهما : ألاَّ يعبد إلا اللَّه .

والثاني : أن يعبد بما أمر وشرع ، لا بغير ذلك من الأهواء والبدع . ثم ذكر أدلة ذلك من القرآن الكريم فذكر آيات كثيرة وهو رحمه اللَّه تعالى - في الاستدلال - ذو نَفَسٍ طويل »(١) .

٦- وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى في فتاواه : « فَصْلٌ : العبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا على الهوى والابتداع ، فإن الإسلام مبني على أصلين :

أحدهما : أن نعبد اللَّه وحده لا شريك له .

والثاني : أن نعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ ، لا نعبده بالأهواء والبدع قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [ الجاثية : ١٨، ١٩] .

وقال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [ الشورى : ٢١] .

فليس لأحد أن يعبد اللَّه إلا بما شرعه رسوله ﷺ من واجب ومستحب لا نعبد بالأمور المبتدعة كما ثبت في السنن من حديث العِرْباض بن سارية ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وفي مسلم أنه كان يقول في خطبته :

---

(١) العودة [handwritten correction: العبودية] في الإسلام للشيخ أبي العباس ابن تيمية ص ١٨.

« خير الكلام كلام اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[1] »[2] . انتهى .

وهذا المعنى تكرر في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى لا سيما المجلد الأول في مواضع منه ، واكتفى من ذلك بما ذكرت منعًا من التكرار والإطالة .

٧- من كتاب العبادة في الإسلام لشيخنا الشيخ يوسف القرضاوي حفظه اللَّه تعالى :

من المعاني الجلية والاستدلالات القوية والصيغة الفائقة الأدبية ما أحب أن أنقله بنصه ولو أطلت شيئًا ما لنفاسة الكلام وقوته وبلاغته ، قال حفظه اللَّه تعالى : « العبادة انقياد لمنهج اللَّه تعالى وشرعه : إن مقتضى عبادة الإنسان للَّه وحده أن يخضع أموره كلها لما يحبه تعالى ويرضاه من الاعتقادات والأقوال والأعمال ، وأن يكيف حياته وسلوكه وفقًا لهداية اللَّه وشرعه ، فإذا أمره اللَّه تعالى أو نهاه ، أو أحل له أو حرم عليه كان موقفه في ذلك كله ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

ففرق ما بين المؤمن وغيره أن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لربه ؛ خرج من طاعة هواه إلى طاعة اللَّه ، ليس المؤمن (سائمًا) يفعل ما تهوى نفسه أو يهوى له غيره من الخلق ، إنما هو

---

(١) مسلم (٨٦٧) .

(٢) الفتاوى ١/ ٨٠.

ملتزم بعهد يجب أن يفي به ، وميثاق يجب أن يحترمه ، ومنهج يجب أن يتبعه ، وهذا التزام منطقي ناشئ من طبيعة عقد الإيمان ومقتضاه .

ومقتضى عقد الإيمان أن يسلم زمام حياته إلى اللَّه تعالى - ليقودها رسوله الصادق ، ويهديه الوحي المعصوم ، مقتضي عقد الإيمان أن يقول الرب تعالى : أمرتُ ونهيتُ ويقول العبد : سَمِعتُ وأطعتُ ، مقتضى عقد الإيمان أن يخرج الإنسان من الخضوع لهواه إلى الخضوع لشرع مولاه ، وفي هذا يقول القرآن الكريم : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

ويقول : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٥١] .

ليس بعابد للَّه تعالى إذن مَن قال : أصلِّي وأصوم وأحج ولكني حر في أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر أو أكل الربا ، أو رفض ما لا يروقني من أحكام الشريعة ، فأحكم فيه بغير ما أنزل اللَّه تعالى .

ليس بعابد للَّه مَن أدَّى الشعائر ولكنه لم يخضع لآداب الإسلام وتقاليده في نفسه وأهله كالرجل الذي يلبس الحرير الخالص ويتحلى بالذهب ويتشبه بالنساء ، والمرأة التي تلبس ما يبرز مفاتنها ولا تغطي جسدها ولا تضرب بخمارها على جيبها .

ليس بعابد للَّه تعالى من ظن أن عبوديته للَّه لا تعدو جدران المسجد ، فإذا

انطلق في ميادين الحياة المتشعبة فهو عبد نفسه فقط ، وبعبارة أخرى : هو حر في اتباع هواها ، أو اتباع أهواء عبيد أنفسهم من المخلوقين .

ثم قال حفظه اللَّه تعالى :

من اتبع غير منهج اللَّه تعالى فقد أشرك في عبادته :

إن من العبادة التي يغفلها كثير من الناس ، الخضوع لشرع اللَّه تعالى والانقياد لأحكامه التي أحل بها الحلال وحرم الحرام وفرض الفرائض وحد الحدود ، فمن أدى الشعائر وصلى وصام وحج واعتمر ولكنه رضي أن يحتكم في شئون حياته الخاصة والعامة أو في شئون المجتمع والدولة إلى غير شرع اللَّه تعالى وحكمه فقد عبد غير اللَّه تعالى ، وأعطى غيره ما هو من خالص حقه سبحانه وتعالى ، إن اللَّه تعالى وحده هو المشرع الحاكم لخلقه لأن الكون كله مملكته ، والناس جميعًا عباده ، وهو وحده الذي له أن يأمر وأن ينهى ، وأن يقول : هذا حلال وهذا حرام ، بمقتضى ربوبيته وملكه وألوهيته للناس ، فهو ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس : ١ - ٣] .

فمن ادعى من الخلق أن له أن يشرع ما شاء أمرًا أو نهيًا وتحليلًا وتحريمًا بدون إذن من اللَّه ، فقد تجاوز حَدَّه وعدا طَوْره وجعل نفسه ربًّا أو إلهًا من حيث يدري أو لا يدري ، ومن أقرَّ له بهذا الحق ، وانقاد لتشريعاته ونظامه وخضع لمذهبه وقانونه وأحل حلاله وحرم حرامه ، فقد اتخذه ربًّا وعبده مع اللَّه تعالى أو من دونه ، ودخل في زمرة المشركين من حيث يشعر أو لا يشعر .

إن القرآن الكريم دمغ أهل الكتاب بالشرك ، ورماهم بأنهم عبدوا أحبارهم

ورهبانهم واتخذوهم أربابًا من دون اللَّه تعالى ، وذلك حين أطاعوهم واتبعوهم فيما شرعوا لهم مما لم يأذن به اللَّه تعالى ، قال اللَّه تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١] .

وقد فسر هذه الآية أعلم الناس بمراد ربه عز وجل من كلامه وهو الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، والذي أوحى اللَّه إليه هذا القرآن ليبينه للناس ولعلهم يتفكرون ، فلنُصْغِ إلى التفسير النبوي الكريم لهذه الآية الكريمة .

روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير – من طرق عن عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه – أنه لما بلغه دعوة رسول اللَّه ﷺ فرَّ إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم منَّ رسول اللَّه ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغَّبته في الإسلام وفي القدوم على رسول اللَّه ﷺ ، فقدم عدي إلى المدينة ، وكان رئيسًا في قومه وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول اللَّه ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٣١] قال فقلت : إنهم لم يعبدوهم . فقال : « **بلى إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم** »(١) انتهى .

---

(١) « العبادة في الإسلام » للدكتور يوسف القرضاوي من ص٥٣– ٥٦.

٨- قال في « الموسوعة الفقهية » الصادرة من وزارة الأوقاف الكويتية ما نصه :

« العبادة لا تصدر إلا عن الوحي : المقصود من العبادة تهذيب النفس بالتوجه إلى اللَّه تعالى بالخضوع له ، والانقياد لأحكامه بالامتثال لأمره فلا تصدر إلا عن طريق الوحي بنوعيه الكتاب الكريم وسنة النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم : ٣، ٤] . أو بما يقره اللَّه تعالى من اجتهاده ﷺ .

فقد جاء في الصحيح : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ »[١] »[٢] انتهى .

٩- قال الدكتور عمر سليمان الأشقر في رسالته القيمة « مقاصد المكلفين ..» : « إن مقتضى العبادة المطالب بها الإنسان أن يجعل المسلم أقواله وأفعاله وتصرفاته وسلوكه وعلاقاته مع الناس وَفْق المناهج والأوضاع التي جاءت بها الشريعة الإسلامية يفعل ذلك طاعة للَّه واستسلامًا لأمره ، وشعار المسلم ما أرشد اللَّه تعالى إليه في قوله : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٥١] .

ذلك أن العبد ليس له خيار إذا قضى مولاه قضاء أو وجهه وجهة معينة :

---

(١) اللؤلؤ (١١٢٠) .

(٢) الموسوعة الفقهية ، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩/٢٥٧- ٢٥٨.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] »(١) انتهى.

أقول:

لما كان مقصدي الأول من كتابة هذه الرسالة هو نصيحة المسلمين ألاَّ يقعوا في شراك أهل البدع فيبذلوا جهدهم في غير طائلٍ ويضيعوا حياتهم في العمل بغير دين الإسلام وفي غير عبادة اللَّه تعالى وذلك باتباع المناهج المفارقة للوحي ولِمَا جاء به رسول اللَّه ﷺ والتي أخذت تروج وتكثر بين الناس في زماننا فافتتن بها العامة والدهماء وقد سقط في شِرَاكها بعض حملة القرآن الكريم وأئمة المساجد وبعض من ينتسب إلى العلم فتركوا هدي رسول اللَّه ﷺ واتبعوا مناهج البشر، فكان هدفي في هذه الرسالة هو بيان أن العبادة والدين شيء مشروع من اللَّه تعالى بلَّغه رسوله محمد ﷺ وكلُّ عمل أو قول لم يثبت نسبته إلى النبي ﷺ بوجه فهو ليس دينًا ولا عبادة والعمل به ضلال وانحراف عن الدين حتى ولو توافرت النية الحسنة؛ لأن العبادة تكاليف مشروعة من المعبود تبارك وتعالى لم يأذن لأحد أن يزيد فيها ولا ينقص، ولم يفوِّض أحدًا ينشئها أو يعدِّل فيها، وعلى هذا كافة أهل السُّنة، وقد وضح فيما نقلت هذه الحقائق وفيما سقت من الأدلة.

ومما أضيف إلى هذا من رسالة الدكتور عمر سليمان الأشقر وهو يناقش

---

(١) «مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين»، رسالة دكتوراه د/ عمر سليمان الأشقر ص٤٧، ٤٨.

مذهب عموم الفقهاء في بعض الفروق بين العبادات بالمعنى الخاص والمعاملات ، فذكر تواطؤ الكافة على كون العبادات مشروعة لا تتلقى إلا من اللَّه تعالى بالسمع ، وهذا ظاهر في كلامه وإن كان مقصده هو بيان الفروق لكن لا يهمني مقصده إنما يهمني تقرير معنى كون العبادة مشروعة من اللَّه تعالى بالوحي .

١٠- قال الشيخ الأشقر : « وقد لاحظ الفقهاء فروقًا عدة جعلتهم يذهبون هذا المذهب :

الأول : العبادات عند الفقهاء تعبدية محضة بينما المعاملات معقولة المعنى .

الثاني : العبادات أنشأها الشارع وأمر بها وليس للعباد فيها إلا التلقي والتنفيذ ، أما المعاملات فقد تكون موجودة قبل الشرع فيقر الصالح منها ويلغي السيئ ويهذب ما احتاج إلى تهذيب .

الثالث : يشترط في التكليف بالعبادات العلم بأنه مأمور بها من اللَّه تعالى ، إذ لا بد للمكلف من نية التقرب بالعبادة إلى اللَّه تعالى ، وهذه النية لا تكون إلا بعد معرفة أن العبادة المتقرب بها إليه أمر منه جل وعلا ، وأما المعاملات فلا يشترط في صحة فعلها نية التقرب ، ولكن لا أجر له فيها إلا بنية التقرب إلى اللَّه تعالى ، كرد الأمانة والمغصوب وقضاء الديون والإنفاق على الزوجة فمتى فعل شيئًا من هذه خوفًا من عقوبة السلطان ففعله صحيح دون النية ، وتسقط المطالبة به فلا يلزمه الحق في الآخرة بدعوى أن قضاءه في الدنيا غير صحيح

لعدم نية التقرب ، بل القضاء صحيح والمطالبة ساقطة على كل حال ، ولكن لا أجر له إلا بنية التقرب »[١] .

ثم ذكر الإشارة إلى قول سيد قطب - رحمه اللَّه تعالى وأجزل مثوبته - من أن هذا التقسيم مع مرور الزمن وفشو الجهل رسَّب في أذهان الكثيرين أن العبادات هي فقط ما سماه الفقهاء قديمًا عبادات ، ولكن المعاملات لا يلزم التقيد فيها بأحكام الشرع ، وهذا ملحظ دقيق من سيد قطب - رحمه اللَّه تعالى - وهو حصر الإسلام عند الكثيرين في المسجد وشعائر رمضان والحج والصدقات وهم في سائر حياتهم يخوضون في جاهلية عمياء .

والمهم أن قول الشوكاني رحمه اللَّه تعالى : « ليس من أثبت الأحكام المنسوبة إلى الشرع بدون دليل بأقل إثمًا ممن أبطل ما قد ثبت دليله من الأحكام » هو الذي ساقنا إلى هذا التفصيل والتأصيل ، والذي حداني إليه كثرة ما أرى من المغالطات والدجل والخداع والتزوير المنهجي الذي أفضى إلى فتنة المسلمين عن دينهم وأدخلهم في سُبل الشيطان ، ففارقوا حقيقة الإسلام وابتدعوا مناهج وأورادًا وعقائد وأعمالًا ليست مما شرع اللَّه تعالى لعباده قطعًا ، ولا هي مما جاء به جبريل أمين السماوات إلى محمد أمين أهل الأرض صلى اللَّه عليهما وسلم ، بل هي إما أكاذيب وإما منامات وأحلام قوم ليسوا بأنبياء ولا معصومين ولا صحابة ولا تابعين ولا علماء ولا فقهاء ، ولا لهم قدم في علم أو فقه ولا استقامة ، ويكفي عنوانًا لجهلهم أن يتركوا دين اللَّه تعالى

(١) « مقاصد المكلفين بما يتعبد به لرب العالمين » للدكتور عمر الأشقر ص ٥٤، ٥٥.

الكامل الشامل الحق المحقق الذي شرعه اللَّه تعالى لعباده ولم يشرع غيره، ورضيه ولم يرض غيره، وأوجبه اللَّه تعالى على عباده وحَذَّرهم أن يخلطوه بشيء غيره، وأنزله بأوثق ما يكون من الأمانة والصيانة والحراسة التامة عن طريق أمين أهل السماوات إلى أمين أهل الأرض فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وأما عن حفظ الوحي وحراسته بالملائكة وحفظ الرسول ﷺ من أن يقربه شيطان بشيء حتى يتم تلقي الوحي في أشد الحراسة والحماية فقول اللَّه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨].

فواللَّه لا يستبدل هذا بأحلام الضالين إلا عَرِيقٌ في الضلالة موغل في الجهالة، أقبح ممن استبدل الفاكهة بالعذرة، أو اللبن بالبول، بل هذا تشبيه لا يكفي، إنه استبدل جنات النعيم بنار الجحيم، فما أحطَّ همته وما أخسر صفقته !!!

فالأوراد المخترعة والطقوس المبتدعة في جميع الطرق الصوفية من أوراد ابن مشيش وصلاة الفاتح وأوراد الشاذلية والأحمدية والختمة والحضرة ونحلة البهائية والقاديانية وغيرها من الفرق المفارقة لهدي الرسول ﷺ والعاكفة على بدعتها كل هؤلاء ممن ضل السبيل وفقد الدليل وفارق التنزيل يدَّعون

اتِّباع السنة وهم أعداء السنة والقرآن والإسلام والإيمان ؛ لأنهم لم يرتضوا دين اللَّه تعالى الذي شرعه حتى اخترعوا غيره ، ولم يرتضوا محمدًا ﷺ نبيًّا حتى ابتدعوا غير دينه ، ولم يكتفوا بالإسلام حتى ابتكروا هذه الطقوس ، وهم مع ذلك يقولون : « لا بد لنا من اتباع هدى نبينا ﷺ لنفلح في الدنيا والآخرة » فيحسب كل جاهل بالدين أن هذا حق ، وإنما هو كما قال فرعون : ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] .

وقال عن موسى عليه السلام : ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] .

فمهما كان الضلال قبيحًا إلا أن ترويجه بالخداع والكذب والمخاتلة والدجل أشد قبحًا وأعظم شرًّا ، لأنه شراك منصوب لاقتناص الجهال وخداع العوام ليس إلى خسارة في المال ولا مصيبة في الدنيا إنها الخسارة الفادحة والنكبة القاصمة ، إنها فقد الجنة واستحقاق جهنم ، فلو كان لذي عقل هِمَّة ولذي دين قُرْبة يريد بها وجه اللَّه تعالى لوجهها لإنقاذ العوام الأبرياء من دعاة جهنم هؤلاء . فجهادهم بالحجة ورد شبهتهم بالدليل والبرهان أعظم أجرًا من الانتصار على أهل الكفر والطغيان ، لأن أهل الكفر يفسدون الدنيا فيأخذون الأموال والأوطان ويقتلون الرجال والشبان ويفجرون بالنسوان والولدان ، وأما أصحاب النِّحَل الباطلة فيفسدون الدنيا والآخرة ويقطعون من تبعهم عن رحمة اللَّه تعالى ، فقتيل الكفار شهيد عند اللَّه تعالى إذا كان من المؤمنين ، وتابع

هؤلاء صائر إلى نار جهنم لعبادته غير اللَّه تعالى ورغبته عن دينه، ومضاهاته باللَّه تعالى أربابًا آخرين يشرعون الدين، ويزينونه له مع إبعاده عن دين اللَّه تعالى ولو بالوحي الكاذب - حدثني قلبي عن ربي - أو بأحلام من استحوذ عليهم الشيطان وخرجوا عن أصول الإسلام ومقتضيات الإيمان، ولا تروج هذه الدعاوى إلا لدى كل جاهل بالدين أو صاحب شهوة من مال أو منصب، فيبيع دينه بهذه الأحلام والأوهام لأن صاحب العلم قد تحصن من الشيطان بقواعد الإيمان وأصول الإسلام، والتي من أبرزها أن الحاكم هو اللَّه تعالى، والدين ما شرعه والمبلغ هو رسوله محمد ﷺ، وأقوم البشر دينًا هم أصحابه ثم أتباعهم ثم أتباعهم ثم أئمة الدين من العلماء والفقهاء، وأن الأحلام ليست دليلًا شرعيًا قط ولو رأى صاحبها النبي ﷺ.

قال النووي رحمه اللَّه تعالى: «فرع»: «لو كانت ليلة الثلاثين من شعبان ولم ير الناس الهلال فرأى إنسان النبي ﷺ في المنام فقال له: الليلة أول رمضان لم يصح الصوم بهذا المنام لا لصاحب المنام ولا لغيره» ذكره القاضي حسين في الفتاوى وآخرون من أصحابنا ونقل القاضي عياض الإجماع عليه وقد قررته بدلائله في أول شرح مسلم»[1] انتهى.

وقال صاحب «موسوعة الإجماع»:

«لو كانت ليلة الثلاثين من شعبان ولم ير الناس الهلال فرأى إنسان النبي ﷺ في المنام فقال له: الليلة أول رمضان لم يصح الصوم بهذا المنام لا

(١) المجموع شرح المهذب للإمام النووي ٦/٢٨١- ط. دار الفكر.

لصاحب المنام ولا لغيره وعليه الإجماع »[١] .

وهذا من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى ، لأنه إذا كانت رؤيا النبي ﷺ ليست دليلًا شرعيًا مع كونه لا يتمثل به الشيطان ، فرؤيا غيره أولى ألاَّ تكون دليلًا شرعيًا ، أما دليل كون الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ ، ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « **من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي** »[٢] .

ولمسلم عن جابر رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من رآني في المنام فقد رآني ، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشَبَّه بي** »[٣] .

فإذا كانت الرؤيا التي لا مدخل فيها للشيطان لا يجوز الاستدلال بها على أي حكم شرعي ، فمنع الاستدلال بغيرها على أحكام الشرع من باب أولى عند العقلاء جميعًا من برٍّ وفاجر ؛ لأن جميع العقلاء يفهمون من قوله تعالى – في التحذير من أذية الوالدين – : ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء : ٢٣] .

أن ضرب الوالدين وشتمهما أشد حرمة ، يفهم ذلك الفقهاء واللصوص والعبَّاد والزناة والأتقياء والفُجَّار ، وكل ذي عقل ، فكذلك إذا كانت رؤيا النبي ﷺ التي لا يمكن أن تكون من الشيطان لا تُعدَّ دليلًا في الشرع فرؤيا

---

(١) موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي للمستشار سعدي أبو حسن (٢/ ٧١١) ، ط . قطر .

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم في اللؤلؤ والمرجان رقم (١٤٦١) ، وهنالك تعرف مواضعه في الصحيحين .

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٨) اللفظ الثاني .

غيره من المخلوقين أولى ألاَّ تكون دليلًا في الشرع .

ويسأل سائل لماذا لا تعد رؤيا النبي ﷺ دليلًا شرعيًا إذا كان الشيطان لا يتمثل به ؟

والجواب باختصار - لأن التفصيل يطول - : هو أن الوحي قد انقطع بموت النبي ﷺ وهو سبيل تلقي الدين والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ، ونحن لا نترك حبل الوحي ونكتفي بشعرة منه إلا من استحَبَّ العمى على الهُدى ، وكذلك لو فتح هذا الباب لضاع الدين من القرن الأول ، فكل حاقد على الإسلام وكل دجّال أثيم يؤلف ما شاء من الرؤى لكل ما يريد من الأعمال والأحكام وبذلك ينسخ الدين ويسود الإفك والعمى .

فسدُّ هذه الذريعة من أوجب الواجب حتى يُحْفظ الإسلام من التبديل والتحريف ، ففرق ما بين أهل السنة وكثير من أصحاب الأهواء والزيغ أن أهل السنة يعتقدون انقطاع الوحي بموته ﷺ ، وأن العصمة خاصة به ﷺ ، وكل أحد سواه مهما كان إيمانه ليس معصومًا من الخطأ إلا إذا أجمعت الأمة كلها فهي معصومة في مجموعها ، وأما الفِرَقُ الباطلة فلا يقولون بانقطاع الوحي ولا بخصوصية العصمة بالنبي ﷺ فجعلوا أحبارهم معصومين والوحي مستمرًا فبدل مشايخهم دينهم ونسخوا من الوحي ما نسخوا وبدلوا ما بدلوا وأضافوا ما أضافوا وأصبح دينهم خليطًا من أكاذيب الدجالين ومكائد الحاقدين ، فخرَّبوا المساجد وعمَّروا المقابر وبدلوا الدين ، واتبعوا اليهود والنصارى كما قال النبي ﷺ : « لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبر

وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه » ، قلنا : يا رسول اللّه ، اليهود والنصارى؟ قال : « فمن؟ »[١] ، واتبعوهم فيما قال اللّه تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٣١] فكل أحد ترك الكتاب والسنة واتبع الأحلام فقد فتح على نفسه باب الخروج من الإسلام .

وإن من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام وهي تعتمد منهجًا مناقضًا للإسلام كل المناقضة فهي لا تعتمد الكتاب والسنة في برامجها وعقيدتها وعبادتها بل تتبع أحلام مؤسسها باعترافه هو وقد أفسحت لها الصليبية العالمية كنِحْلَة مضادة للإسلام طائفة الدعوة والتبليغ الهندية التي أسسها محمد إلياس الكاندهلوي الذي ركز نشاطه في قرية نظام الدين التابعة لمدينة نيودلهي بدولة الهند ، وهذا الرجل جاء بتعاليم لم ينزل بها كتاب ولا سنة ولا مضى عليها أحد من المسلمين قبله فهو دين مختلق وشريعة مبتدعة بكل معنى الكلمة فبنى طريقته على مبادئ ست ، وأعمال يومية اتخذها كأصول لدينه فهي أركان مذهبه .

**ومن أهم هذه الأعمال :**

١- حلقة التعليم : تبدأ من أول اليوم بعد شروق الشمس يفتتحها بالقرآن وهو قراءة عشر سور من آخر القرآن العظيم من سورة « الفيل » إلى « الناس » لا تبدَّل ولا تتغير أبدًا ولو خالطتهم طول حياتك ما أخذوا من القرآن حرفًا

---

(١) الحديث في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري وهو في اللؤلؤ رقم (١٧٠٨) ، وهناك تعرف مواضعه في الصحيحين .

غيرها ، وبذلك يرى العوام أنهم يعترفون بالقرآن . والتعليم هو كتاب « حياة الصحابة » لمؤلفة يوسف محمد إلياس ابن مؤسس الطريقة .

٢- أحوال الراجعين : والمقصود بها قصص ما حصل لكل فرقة منهم خرجت للدعوة ثم رجعت تقص ما حصل لها . ولهم في كل يوم أكثر من عشرة آلاف فرقة تخرج للتبليغ ، وبذلك عندهم من قصص أحوال الراجعين مئات الألوف بل ملايين من الحكايات لو أراد الإنسان سماعها قضى عمره كله وأوصى أبناءه وأحفاده يستكملون الباقي ؛ لأن حياته لا تكفي لسماع قصصهم كلها إلا أن يعمَّر عمر نوح عليه السلام .

٣- الجولة : وهي عبارة عن خروج مجموعة من المسجد لتطرق جميع البيوت لا تترك بيتًا واحدًا ويخرج صاحب البيت أو من يخرج منهم فيدعونه إلى الحضور إلى المسجد لسماع البيان .

٤- صلاة الظهر وإلقاء البيان وتشكيل الخارجين والإلحاح على الخروج أربع سنوات فإذا ضعفت الهمة فأربعة أشهر فإذا ضعفت أكثر فأربعين يومًا فإذا كانت الهمة في الحضيض فثلاثة أيام .

٥- ومن أصول مذهبه الخروج ثلاثة أيام من كل شهر وأربعة أشهر من كل سنة وأربع سنوات في العمر كله .

٦- وهذا الخروج هو خروج بالفراش يبدأ بالخروج في نفس القرية أو المدينة ثلاثة أيام يكون في المسجد ولا يدخل بيته ولا يرى زوجته ولا أولاده ولا يعرف عنهم شيئًا ولو كانوا في نفس الحي وكذلك في خروج الأربعين

يومًا والأربعة أشهر وما فوقها لكن الخروج أكثر من ثلاثة أيام يطوفون فيه عدة مساجد في أماكن وبلاد مختلفة والمتمسك منهم يترك أهله لا شأن له بهم ولو كانت زوجته حاملًا مُتِمًّا ، وبعضهم خرج ليلة وَضْع زوجته حملَها فتركها ومضى لخروجه ويذكر أنه حين رجع وجدها وضعت في رعاية أحسن من رعايته وتصدق الناس عليها وأكثروا لها الهدايا .

٧- يعقب صلاة العصر أيضًا بيان طويل وتشكيل الخارجين والإلحاح . وقبل المغرب تخرج جماعة للجولة على البيوت وجماعة تبقى في المسجد لعمل كلام جلوسي .

٨- كلام جلوسي ، ومعنى كلام جلوسي أنهم يعملون حلقة في المسجد يدعون لأصحاب الجولة بالتوفيق في عملهم .

٩- ثم يصلون المغرب ويسمعون البيان وبعده تشكيل جماعات الخروج أيضًا .

١٠- بعد صلاة العشاء يكون بيان ودرس في حياة الصحابة وهو كتاب « سيرة الصحابة » كتبه الشيخ محمد يوسف ابن الشيخ محمد إلياس ويعتبر شيخ جماعة التبليغ بعد أبيه .

١١- يكون النوم في المسجد ويستيقظون لصلاة الصبح وسماع بيان الصبح وهو بيان خاص وهام ويستغرق وقتًا طويلًا أحيانًا يمتد إلى ارتفاع الضحى حوالي ساعتين كما رأيته في مراكز الرايوائند بباكستان ، وهو المركز الرئيسي .

١٢- جماعة التبليغ لهم مشورة يومية مرتين وهو من أسس مذهبهم فلا يمر يوم قط إلا وتجري فيه المشورة قبل الظهر وقبل المغرب .

١٣- من أصول هذه الجماعة أنهم يبعثون الخارجين للتبليغ جماعة لها أمير يكون قد مارس الخروج كثيرًا وتدرب قبل أن يكون أميرًا للجماعة . فعدد مرات الخروج هو مؤهل الإمارة .

١٤- هذه الجماعة لا تعرف عن فقه الدين شيئًا ولا يجرون درس فقه ولا تفسير ولا توحيد إلا توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون . أما توحيد الألوهية والأسماء والصفات فلا معرفة لهم به أصلًا . وقد حضرت اجتماعهم السنوي في باكستان بالمركز العام الرايوائند التابعة لمدينة لاهور . وكذلك حضرت اجتماعهم السنوي ببنجلادش بإقليم تنجي التابع للعاصمة دكا . وقد رُشحتُ من قبل وكلاء لهم بقطر إلى تشكيل [ ٣ - ٥ - ٣] وهو تشكيل لخلاصة مشايخ التبليغ يدرس فيه أصول الطريقة في مدة أحد عشر يومًا ولا يدخله إلا ثقة عندهم ضليع في طريقتهم . وبذلك أكون قد حضرت وسمعت أعلى مستوى في أفكارهم وأصول طريقتهم لم أسمع منهم حرفًا واحدًا عن توحيد الألوهية والأسماء والصفات . ولا يجاوزون توحيد الربوبية ولا يعرفون غيره .

وطلبت من أعلى مسئولين في الرايوائند أن أُدَرِّس لهم التوحيد متطوعًا بالمركز العام عند مشايخ الطريقة الكبار الشيخ عبد الوهاب والشيخ جمشيد فرفض طلبي .

١٥- لا يعنيهم علوم التوحيد ولا الفقه ولا الحديث ولا التفسير ولا اللغة ولا الجهاد ولا شيء سوى تدريس طريقتهم هم بمبادئها التي ذكرت أهمها ، ويُنَفِّرون أتباعهم من السماع لدروس العلم الشرعي ويفهمونهم أن هؤلاء المشايخ قاعدون عن الجهاد لا خير في دروسهم حتى يخرجوا معنا ، وبهذا فهي جماعة بعيدة عن علوم الدين محجوبة عنه ، ومن طلب العلم منهم ترك الجماعة لما هي فيه من البعد عن الإسلام وتعاليمه والدخول في منهج مناقض للقرآن والسنة .

## ملحوظة هامة جدًّا:

لم أشك لحظة أن جماعة التبليغ تخوض في ضلالة وبدعة أوضح من الشمس ولكن كان يدهشني ما هم عليه من الهمة والبذل والتضحية وأقول لو بذل أهل السنة ما يبذل هؤلاء لانتصر الإسلام ، وأعجب لهؤلاء الذين يجوبون الدول من المشرق إلى المغرب ومن القطب الشمالي إلى أستراليا جنوبًا وعلى نَفَقَةِ أنفسهم ويخرجون ثلاثة أيام في الشهر وأربعة أشهر وتشجعهم الدول وكان مَنْ خرج معهم سنة مُنِح الجنسية القطرية ؛ لأن قطر من الدول المشجعة لهذه الجماعة جدًّا ، وقد عرض عليَّ هذا العرض من مسئولي الجماعة في قطر فعلًا فرفضت أن أبيع ديني بلعاعة تافهة وأخذها أمامي ناس أعرفهم أتموا سنة في الخروج ولما كنت قد ذهبت إلى باكستان ثم بنجلادش ثم الهند لأستقصي أمر هذه الجماعة العجيبة التي تعمل بهمة في باطل ، قد تركَتْ دين الإسلام المؤيد بالوحي من كلام اللَّه تعالى وسنة

نبيه ﷺ الذي هو طريق النور والنجاة والفلاح يقينًا واستبدلوا به هذه النِّحْلة المحدثة التي لم يكن لها وجود في الدنيا قبل مائة سنة فإن مؤسسها محمد إلياس من مواليد سنة ١٣٠٣هـ ولا يكون قام بالدعوة وازدهرت قبل ثلاثين عامًا من مولده أي قبل قرن من الآن فكيف ساغ للناس أن يتبعوا طريقة محدثة ليس لها أي جذور في ملة الإسلام وهي مخالفة للكتاب والسنة كل المخالفة وتركوا هدي رسول اللَّه ﷺ واتبعوا هدي محمد إلياس بهمة وتضحية ونشاط حتى عثرت على كتيب صغير في مكتبة ببلدة الرايوائند بالمركز العام للتبليغ ووجدت الناس مهتمين بشراء نسخ كثيرة منه حتى اشترى صاحب لي مصري عشر نسخ منه فقلت له : ما هذا يا أخ محمد ؟ قال : هذا كتاب عظيم هذا كتاب ( ملفوظات الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس جماعة الدعوة والتبليغ ) .

فأخذت منه نسخة واحدة ووضعتها في حقيبتي ونسيتها وكنا قد أقبلنا على رمضان وقد أنهيت مهمتي في الاطلاع على أصولهم وعرفتهم كالشمس في النهار بعد سماع ما في اجتماع علمائهم ومحاضرات أربعة أيام متواصلة ، ثم حضور تشكيل [ ٣ - ٥ - ٣] الذي هو تدريس أصول الجماعة ، وأجمعت العودة بعد نهاية اعتكاف رمضان فبينما أبحث عن شيء في حقيبتي إذ بالكتيب الذي ذكرته آنفًا فقلت لأقرأنه لأعلم ما فيه ، فقرأته فعثرت على ضالتي وانحلت مُعادلتي ذات المجاهيل العويصة فكما عرف شمبليون الصليبي سر الفراعنة حينما عثر على حجر رشيد وترجمه وجدت سرَّ جماعة

التبليغ في هذا الكتيب واحتفظت به جدًّا وهو عندي كوثيقة هامة وحجة لائحة وبرهان ساطع على أمر هذه الجماعة .

والكتيب عبارة عن مقالات لفظها بلسان الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس جماعة التبليغ وكتبها من لسانه الشيخ محمد منظور النعماني باللغة الأردية وترجمها إلى العربية الشيخ عبد الوحيد ملك عبد الحق ..

فقرأتها فقرة فقرة وهي عبارة عن مائة وعشرة من الفقرات التي سماها كاتبها محمد منظور النعماني : « ملفوظات » حتى وقفت على حلِّ الرموز وفك الألغاز والخروج من الحيرة عند الملفوظ رقم (٥٠) ، والذي فيه مثل التنبؤ وتلقي الوحي وأن هذه الطريقة ألقيت إليه في أحلامه ، وقد كان يعاني من الأرق فتعاطى دواء لينام أكثر حينما حصل له ورود العلوم في المنام وهاك نص الملفوظ من الكتاب المذكور ص٤٦ قال :

« في هذه الأيام تُلْقى إليَّ العلوم الصحيحة في الرؤيا ؛ فلذا حاولوا أن أنام أكثر (فبسبب النشوفية كان لا ينام إلا قليلًا فبعد مشورتي مع الأطباء أدهنت رأسه بزيت فزاد نومه – الكلام عن النشوفية والعلاج كلام محمد منظور) ثم قال الشيخ : إن طريقة الدعوة والتبليغ أيضًا قد انكشفت لي في الرؤيا » انتهى بنصه .

وأقول بعد اعتراف الشيخ محمد إلياس بنفسه بأن طريقة التبليغ لم يتلقها من قرآن ولا سنة ولا سبقه بها سابق وأنها ألقيت إليه في الرؤيا مع ما وقع

الإجماع عليه من أن الرؤيا ليست دليلًا شرعيًّا ، ولو كانت رؤيا رسول اللَّه ﷺ كما مرَّ في هذا البحث نقل الإجماع على ذلك ، فلا يبقى إلا بطلان هذه الطريقة المصادمة للقرآن الذي حرم إدخال ما ليس من الدين فيه توقيًا للشرك . والمصادمة للسنة النبوية حيث يأمر ويشرع خلاف ما جاء به النبي ﷺ فلا يقبل ذلك شخص يعرف التوحيد ولا يحقق العبودية للَّه تعالى وذلك الرجل في ذمة اللَّه تعالى قد يشفع له جهله بالدين وجهله بتوحيد الألوهية الذي ما زال مجهولًا عند عامة العجم ومنها مشايخ التبليغ كما رأينا ولكن لا عذر لمسلم أن يترك هدي رسول اللَّه ﷺ فيترك ما جاء به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين من دين اللَّه رب العالمين إلى ما ألقت الشياطين من الأوهام والضلال المبين في أحلام جاهل بالدين .



## سر ترحيب أوروبا وأمريكا بجماعة التبليغ

جماعة التبليغ التي تفقد توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات تفقد أصل العبودية والتكليف ؛ ولذلك ساغ لها أن تلتزم منهج محمد إلياس المناقض لعبوديتها حيث تركت عبوديتها للَّه تعالى وعبدت محمد إلياس الذي شرع لها دينها في مناماته كما صنع الأحبار والرهبان في دين اليهود والنصارى فأخرجوا الناس من عبادة اللَّه تعالى إلى عبادتهم هم فوقعوا في الشرك الأكبر.

والمسلمون إذا تركوا توحيد الألوهية ؛ توحيد الأمر والنهي والتكليف عادوا إلى دين الجاهلية الأولى التي كانت تقرُّ بتوحيد الربوبية وترفض توحيد الألوهية الذي هو أصل العبادة حيث الخلاف بين الرسل وأممهم كان في توحيد الألوهية الذي ينبني عليه الأمر والحكم والتكليف والعبادة .

فأهل الجاهلية مقرون بأن اللَّه تعالى هو الرب الخالق المالك المدبر الرزاق ، قال اللَّه تعالى عنهم : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان : ٢٥] .

وقال تعالى عن إقرارهم بربوبيته : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٣١] .

والآيات في إقرارهم بربوبية اللَّه تعالى كثيرة ولكنهم يرفضون ألوهية اللَّه تعالى بمعنى أن يأمرهم أو يكلفهم بشريعة ودين وفي ذلك يقول اللَّه تعالى

عنهم: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٤ - ٦].

فجماعة التبليغ بدون قصد تخرج المسلمين من عبوديتهم لربهم إلى مجرد الإقرار به وتعظيمه وإجلاله بدون قبول شريعته وتكليفه بما شرع من الدين ومنه الجهاد في سبيل اللَّه تعالى فهم لا يفكرون مطلقًا في قتال الكفار مهما فعلوا؛ وبهذا يفرغون الإسلام من مضمونه ويبقى دينًا باردًا لا ولاء ولا براء فيه ولا جهاد ولا عداوة للكفار ولا همة لإقامة دولة إسلامية وحكم بما أنزل اللَّه، وهذا أحسن ما تتمناه الصليبية العالمية، واليهودية العالمية ولو وجدوا من يفعل ذلك بالمسلمين ويأخذ نصف أموالهم لأعطوه وفرحوا به وحرصوا عليه. وهذا سبب رضاهم عن جماعة الدعوة والتبليغ لأن منهجها يهدم الإسلام ويسالم الكفار.

وليست جماعة التبليغ وحدها خطرًا على الإسلام بل كل جماعة لم تحقق توحيد الألوهية والأسماء والصفات لا تتحقق لها العبادة الصحيحة وتنحرف عن الدين مثل جميع الطرق الصوفية، والصوفية شر من جماعة الدعوة والتبليغ وبعضها وقع في الوثنية والشرك الاعتقادي مع شرك العبادة، وشرٌّ منهما مذاهب الشيعة التي اعتقدت عصمة الأئمة وصلاحيتهم في امتداد الوحي فصاروا يضيفون إلى الدين ما شاءوا وينسخون منه ما أرادوا؛ لأن الإمام معصوم كعصمة النبي وكل ما يقوله حق. فكان ذلك بابًا واسعًا

لخروجهم من الدين إلى دين الأئمة كما فعلت الأحبار والرهبان في دين النصارى واليهود، وبعضهم تجاوز ذلك إلى نقض عقائد الإسلام كلها والتردي في الكفر الصريح مثل النصيرية والإسماعيلية والدروز وغيرهم من غلاة الشيعة الذين هم أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى حاشا الزيدية من فرق الشيعة فإنهم على عقيدة وعبادة ودين مع مخالفة أهل السنة في فضل عليٍّ على الشيخين وهو خطأ عسى اللَّه أن يغفره لهم.

والخلاصة: أنه لا يستقيم الدين ولا تصح العبادة إلا بتحقيق توحيد الألوهية أن يكون الأمر والحكم والتشريع للَّه تعالى وحده لا أحد من الخلق يشاركه في شيء من ذلك مهما صغر، وتوحيد الأسماء والصفات هو مؤهل الألوهية وقوام الربوبية ومن لم يحقق ذلك فسد دينه ودخلت عليه البدع والآفات والأهواء المضلة ولا عصمة إلا باللَّه تعالى والتمسك بكتابه وسنة نبيه فهما حصن من الزلل والزيغ بإذن اللَّه تعالى كما قال المعصوم ﷺ.

فقد روى الحاكم بسند صحيح من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب اللَّه وسنتي لن يتفرقا حتى يردا على الحوض**»[1].

وأصله في مسلم حديث حجة الوداع حيث قال ﷺ: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب اللَّه. وأنتم تسألون عني ...**» الحديث[2].

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع للألباني رقم ٢٩٣٧.

(٢) مسلم (١٢١٨).

وقوله : « كتاب اللَّه » . يقتضي السنة قطعًا لأن كتاب اللَّه تعالى هو الذي أوجب اتباع السنة كقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر : ٧] .

ومثل قوله تعالى : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران : ٣١] وغيرها كثير .

فلا عصمة إلا بتوفيق اللَّه تعالى والتمسك بالكتاب والسنة وتجريدهما عن أي شيء غيرهما ، وبذلك تتحقق العبادة ولا تتحقق إلا بذلك ، وباللَّه تعالى التوفيق والسداد .

**واللَّه تعالى أعلم .**

**وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين**

❁ ❁ ❁

## الخاتمة

إن أصح واصفي ما كانت الأمة عاملة بدينها على نهج رسول اللَّه ﷺ في جيل الصحابة رضوان اللَّه عليهم، ثم الذين يلونهم من التابعين، ثم الذين يلون التابعين من تابعي التابعين، ثم وقع الخلل والدخن وبدأت البدع وخلط الدين بالأهواء، وكلما ابتعد الناس عن عهد رسول اللَّه ﷺ زاد الانحراف وكثرت البدع وعمَّ الدخن حتى صار كثير من البدع مقررًا سائغًا مثل السنة وربما صار أشهر من السنة وأولى.

ولو لم يراجع المسلمون أنفسهم على منهج الكتاب والسنة الثابتة بمفهوم أصحاب النبي ﷺ فلا شك أنهم سيزدادون بعدًا عن سبيل اللَّه تعالى وينجرفون إلى السبل المنحرفة والتي حذرهم اللَّه تعالى منها بقوله الحكيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وكانت أصح وسيلة لضبط سلوك المسلم على منهج اللَّه تعالى القويم وأوضح بصيرة لكشف انحراف المنحرفين عن هدي رسول اللَّه ﷺ هو الوقوف على حقيقة المهمة التي خلقنا اللَّه تبارك وتعالى لها وهي عبادته، وذلك بمراجعة أصولها وضبط فروعها طبقًا لنصوص الوحي الشريف من القرآن المجيد والسنة المطهرة وبمفهوم من زكاهم اللَّه تعالى ورضى عنهم وعمَّن اتبعهم بقوله الحكيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ

تَجْـرِي تَحْتَهَـا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

[التوبة : ١٠٠] .

وذلك أن الدَّخَن قد عمَّ والبدع قد انتشرت ولها خطباء مفوهون وأنصار مجتهدون قد خدعوا العوام وأغاروا على الخواص فلم يسلم منهم إلا ذو علم بصير متحقق من دينه بالحجة والبرهان ، فصار علم الشريعة ولزوم منهج سلف الأمة هو الحصن المتين والحاجز المنيع الذي حمى اللَّه تعالى به أهل العلم والإيمان من أن ينخدعوا بشيء من دعاوى أهل الأهواء والزيغ فأحببت أن يجعل اللَّه تعالى لي نصيبًا من حراسة دينه والذود عن سبيله ونصح المسلمين بأصح الدليل وأقوى البرهان ، وذلك بتوضيح ماهية العبادة كما وردت بها نصوص الوحي ومضى عليها أئمة الهدى حتى تكون سلاحًا لكل مؤمن ومصباحًا كاشفًا فلا ينخدع ببدعة باطلة أو فتنة مضلة .

لأن من فَقِهَ العبادة وعرف ما كلفه اللَّه تعالى به وأنه تبارك وتعالى حذره من التفريط فيها والزيادة عليها إذا أراد النجاة فقد عرف الحق من الباطل ، ولم يَرْتَبْ في دينه ، ولم يخدع بغيره ، ولا يهوله كثرة المخدوعين ، ولا شدة استمساكهم بما هم عليه من الباطل ؛ لأن اللَّه تعالى أخبرنا في كتابه أن من خذلانه لأهل الأهواء والزيغ أن يجتهدوا في باطلهم وينصروه بكل قوةٍ وهم يحسبون أنه حق ، ولو تدبروا كتاب اللَّه تعالى وسنة نبيه ﷺ الذي أمرهم اللَّه تعالى باتباعه وحذَّرهم من مخالفة أمره لأبصروا الحق ؛ ولكن لما أعرضوا عن علوم الكتاب والسنة كان من عقابهم أن يقتنعوا بالباطل ويرون أنه حق ، كما

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف : ١٠٣، ١٠٤] .

وقال تبارك وتعالى عنهم : ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ٣٠] .

والمهم أن أقوى ما تحصن به المسلم من الفتن والزيغ هو العلم الصحيح وسؤال أهل العلم والبصيرة فإن ترك ذلك فلن يكون مصيره إلا الانحراف عن سبيل اللَّه تعالى إلى سبيل الضالين ، فما أخسر صفقته ، وما أشد ندامته إذا لقي ربه تعالى .

إن الأموال والأوطان تحرس بالجيوش والسلاح ، ولكن الجيوش والسلاح لا ترد فتنة في الدين ولا تقيم برهانًا على الحق ولا تقمع بدعة أو خرافة ؛ إنما السلاح الكاشف الذي يمحق الباطل ويستأصل الضلال هو العلم الصحيح بكتاب اللَّه تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،وسنة رسول اللَّه ﷺ الذين هما دليل المؤمن ونوره وبرهانه وهو يمضي على صراط اللَّه تعالى القويم حتى يفضي إلى النجاة والسلامة ورضوان اللَّه تعالى .

وختامًا : هذا غاية وسعى في النصح لنفسي وإخواني أن نعرف ماهية العبادة من مصدرها الصحيح حتى لا نخدع بتغرير المبطلين ودعاوى الدجالين .

وأسأل اللَّه رب العرش العظيم أن يرزقني وإخواني البصيرة في ديننا والاستقامة عليه ، وأن يتقبل مني هذه النصيحة لعباده وأن ينفع بها المسلمين

وأن يرحمنا بدوام متابعة نبيه ﷺ والاعتصام بالكتاب والسنة حتى نلقاه آمنين، غير مبدلين ولا مضيعين، ولكن متبعين مطيعين مذعنين، لربنا خاضعين.

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبيه محمد وعلى آله ومن اتبع هداه، والحمد للَّه رب العالمين.



# الفهرس



